بسم الله الرحمن الرحيم

قُرَّة عيون المجاهدين

في فضل الجهاد والرد على شبهات المنهزمين

أعده
عبد الرحمن أبو ناصر

تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد

الحمد لله الذي نشر لـواء الجهـاد للموحـدين، وقطـع بصوارم سيوفهم رقاب الكفـرة والمعانـدين، ووفقهـم بـأن باعوا نفوسهم لله تعـالى ففـازوا بـالفوز المـبين، وتحققـوا بمقتضى وعده تعالى بقوله جل وعلا {وكان حقاً علينا نصر المـؤمنين} [الـروم:47]، والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا محمد صـاحب الـدين المـتين المنـزل عليـه {فأيـدنا الـذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين} [الصف: 14]، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الجهاد في سبيل الله سبيل عز هذه الأمة وتركه يعني التخلي عن هذا السبيل والرضى بسبيل الذل والمهانة فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: ((إذا تبـايعتم بالعينـة وأخـذتم أذنـاب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعـه حـتى ترجعـوا إلـى دينكـم)) [رواه أحمـد وصـححه الألبـاني فـي صـحيح الجـامع (423)]، وقـال تعـالى: {إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم} [التوبـة: 39].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه: (وهـذا أيضـاً خطاب لكل قرن وقد أخـبر فيـه أنـه مـن نكـل عـن الجهـاد المأمور به عذبه واستبدل بـه مـن يقـوم بالجهـاد وهـذا هـو الواقع) [مجموعة الفتاوى اعتنـى بهـا عـامر الجـزار وأنـور الباز 9/459].

وقال في موضع آخر: (قـد يكـون العـذاب مـن عنـده وقد يكون بأيدي العباد، فإذا ترك الناس الجهـاد فـي سـبيل الله فقد يبتليهم بـأن يوقـع بينهـم العـداوة حـتى تقـع بينهـم الفتنة كما هو الواقع؛ فإن النـاس إذا اشـتغلوا بالجهـاد فـي سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم علـى عدو الله وعدوهم، وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شـيعاً ويـذيق بعضـهم بـأس بعـض) [مجموعـة الفتاوى 8/29].

وبالجهاد في سبيل الله يُنصـر الشـرع وينتشـر الـدين فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قال: ((بعثت بيـن يـدي السـاعة بالسـيف حـتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له..)) الحـديث [رواه أحمـد وصححه الألباني في صحيح الجامع (2831)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وسيوف المسلمين تنصر هذا الشرع وهو الكتاب والسنة كما قال جابر بن عبد الله (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضرب بهذا - يعني السيف - من خرج عن هذا - يعني المصحف -) قال تعالى: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز} [الحديد: 25]، فبين سبحانه وتعالى أنه أنزل الكتاب وأنزل العدل وما به يعرف العدل ليقوم الناس بالقسط وأنزل الحديد، فمن خرج عن الكتاب والميزان قوتل بالحديد) [مجموعة الفتاوى 18/214].

(والجهاد دليل المحبة الكاملة قال تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} [التوبة: 42]، وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم} [المائدة: 45]، فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

فإن المحبة مستلزمة للجهاد، لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ويرضي لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهي عما ينهي عنه فهو موافق له في ذلك، وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم، إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له) [مجموعة الفتاوى 5/204].

والمجاهدون هم صفوة الخلق وسادتهم والناصحون لهم والباذلون نفوسهم ومهجهم لإسعادهم في الدنيا بالتمتع بهذا الدين الذي لا سعادة لهم بدونه، وفي الآخرة بنيل رضوان الله ودخول جناته.

قوم باعوا نفوسهم وأموالهم لله ورغبوا في عاجل لقاه، لينالوا الحياة الآجلة الأبدية التي لا يصطفي الله لها من خلقه إلا خيارهم، الذين يتخذهم شهداء.

قوم يختارون الجوع والعطش والخوف على الشبع والريِّ والأمن في الحياة الدنيا ليسبقوا إلى نعيم الله الدائم في دار كرامته، ينام الناس وهم يسهرون ويتمتع الناس بملذات الدنيا وطيباتها وهم منها محرومون، إذا تغطى القاعدون على سررهم بأنواع الثياب وافترشوا أجود الزرابي وتوسدوا ألين النمارق كان غطاء المجاهدين نقع غبار التحامهم بالأعداء وكان فرشهم الحصى والشوك وكانت وسائدهم أسلحتهم التي يقارعون بها الكفار، لذلك يكرمهم الله إذا انتقلوا إلى دار كرامته بما يتمنون أن يحييهم الله من أجله مرات ليقتلوا في سبيله، بل هذا ما تمناه الرسول صلى الله عليه وسلم! وما ذاك إلا لمكان المجاهد الشهيد الذي يقاتل لإعلاء كلمة الله [الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته للدكتور عبد الله القادري 1/12].

ما ذا أقول بوصف ما قاموا به عجز البيان وجفّت الأقلام

فطوبى - والله - ثم طوبى لمن سابق وبادر والتحق بقافلتهم وانخرط في صفوفهم مجاهداً في سبيل الله، فالزمن يسرع ولا انتظار لبطيء أو متثاقل أو قاعد، ومن ينفر مع بزوغ الفجر فسيسبق من توقظه الشمس لأن الطريق سيزدحم!

وفي هذا الزمان زهد كثير من الناس في الجهاد - علماء وعامة - وأصبحوا لا يذكرونه في مجالسهم وإن ذكروه فعلى سبيل التنقص والسخرية من المجاهدين وكأنهم ليسوا به مخاطبين، لأجل ذلك جمعت هذه الباقة العطرة، المشتملة على آيات من كتاب الله وأحاديث من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض كلام أهل العلم، والمتعلقة بفضل الجهاد والشهادة في سبيل الله وما أعده الله للمجاهدين والشهداء في دار كرامته، ثم ختمت الموضوع بفصل في الرد على شبهات المنهزمين وقد وسمتها بـ " قُرَّة عيون المجاهدين في فضل الجهاد والرد على شبهات المنهزمين "، سائلاً منه سبحانه التوفيق والقبول والجهاد والشهادة والحسنى والزيادة إنه الجواد الكريم وذو الفضل العظيم.

فصل
في فضل الجهاد في سبيل الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والأمر بالجهاد، وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان.. وهذا باب واسع لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه.

وهو ظاهر عند الاعتبار؛ فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى، والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال على ما لا يشتمل عليه عمل آخر.

والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائماً؛ إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة.

فإن الخلق لا بد لهم من محيا وممات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة، وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما؛ فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد، وقد يرغب في ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات) [مجموعة الفتاوى 14/460 - 461].

وقال سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله: (وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات لأنهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ويحمي حوزة الدين، وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا، وجعلهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها وإن باتوا في ديارهم، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه والشارع قد نزّل المتسبب منزلة الفاعل التام في الأجر والوزر فكان الداعي إلى الهدى والداعي إلى الضلال لكل منهما بتسببه مثل جزاء من اتبعه، ويكفي في ذلك - أي في فضل الجهاد - قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم} فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة التي الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم، فقال {تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم} فكأن النفوس ضنّت بحياتها وبقائها فقال {ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} يعني أن الجهاد خير لكم من قعودكم فقال {يغفر لكم ذنوبكم} ومع المغفرة {ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم} فكأنها قالت: هذا في الآخرة، فما لنا في الدنيا؟ فقال {وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين} [الصف 10 - 13].

فلله ما أحلى هذه الألفاظ وما ألصقها بالقلوب وما أعظمها جذباً لها وتسييراً إلى ربها، وما ألطف موقعها من قلب كل محب وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها، فنسأل الله من فضله!...

وقال تعالى: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً} [النساء 95 ـ 96]، فنفى سبحانه وتعالى التسوية بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد وبين المجاهدين، ثم أخبر عن تفضيل المجاهدين على القاعدين درجة ثم أخبر عن تفضيلهم عليهم درجات) [الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة لابن حميد].

وأخبر سبحانه أنه {اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} وأعاضهم عليها الجنة، وأن هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم.

فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله، فإن الله عز وجل هو المشتري، والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر.

وإن سلعةً هذا شأنها لقد هيئت لأمرٍ عظيمٍ وخطبٍ جسيمٍ:

قد هيؤوك لأمرٍ لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين، فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة! بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربّها لها بثمن دول بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبّون ينتظرون أيّهم يصلح أن يكون نفسه الثمن، فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد {أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين}.

لما كثر المدعون للمحبة، طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم، لادعى الخليّ حرفة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة {قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله} فتأخر الخلق كلّهم، وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة وقيل: لا تقبل العدالة إلا بتزكية {يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمٍ} فتأخر أكثر المدعين للمحبة وقام المجاهدون فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليه العقد فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين، فلما رأى التجار عظمة

المشترى وقدر الثمن وجلالـة قـدر مـن جـرى عقـد التبـايع على يديه ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هـذا العقـد عرفـوا أن للسلعة قدراً وشأناً ليس لغيرها من السـلع، فـرأوا مـن الخسران الـبيّن والغبـن الفـاحش أن يبيعوهـا بثمـن بخـس دراهم معدودة تذهب لذتها وشهوتها وتبقى تبعتها وحسرتها فإن فاعـل ذلـك معـدود فـي جملـة السـفهاء، فعقـدوا مـع المشتري بيعة الرضوان رضىً واختياراً من غير ثبوت خيـار وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقـد، وسـلموا المبيع قيل لهم: قـد صـارت أنفسـكم وأمـوالكم لنـا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كـانت وأضـعاف أمـوالكم معهـا {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون} لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلباً للربح عليكـم بـل ليظهـر أثـر الجـود والكـرم فـي قبـول المعيـب والإعطـاء عليـه أجـل الأثمـان ثـم جمعنـا لكـم بيـن الثمـن والمثمّن.

فحيهلا إن كنت ذا همةٍ فقد حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا
وقل لمنادي حبهم ورضاهم إذا ما دعا لبيك ألفاً كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإن نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعدٍ ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زاداً إليهم وسر على طريق الهدى والحب تصبح واصلا
وأحي بذكراهم شراك إذا دنت ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
وإما تخافن الكلال فقل لها أمامك ورد الوصل فابغي المناهلا
وخذ قبساً من نورهم ثم سر به فنورهم يهديك ليس المشاعلا
وحي على وادي الأراك فقل به عساك تراهم ثم إن كنت قائلا
وإلا ففي نعمان عندي معرف الـ أحبة فاطلبهم إذا كنت سائلا
وإلا ففي جمعٍ بليلته فإن تفت فمنًى يا ويح من كان غافلا
وحي على جنات عدنٍ فإنها منازلك الأولى بها كنتَ نازلا

ولكن سباك الكاشحون لأجل ذا وقفت على الأطلال تبكي المنازلا
وحي على يوم المزيد بجنة ال خلود فجد بالنفس إن كنت باذلا
فدعها رسوماً دارساتٍ فما بها مقيلٌ وجاوزها فليست منازلا
رسوماً عفت ينتابها الخلق كم بها قتيلٌ وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنةً عنها على المنهج الذي عليه سرى وفد الأحبة أهلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعةً فعند اللقا ذا الكدّ يصبح زائلا
فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا

[زاد المعاد 3/65 - 67]

ويقول الله عزوجل: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم} [التوبة: 19 - 21].

فهذه الآيات نفت المساواة بين المجاهدين وبين عمار المسجد الحرام فضلاً عن غيره من المساجد!

والعمارة نوعان: عمارة معنوية وتكون بالذكر والدعاء والطواف والصلاة وتلاوة القرآن وحلقات العلم وغير ذلك، وعمارة حسية تكون ببناء المساجد وتوسعتها وتنظيفها وصيانتها وتبخيرها وغير ذلك.

وقد فقِه هذا المعنى الإمام المجاهد عبد الله ابن المبارك رحمه الله - حينما سطر قصيدته الرائعة وهو في أرض الجهاد والرباط وساقها إلى عابد الحرمين الفضيل بن عياض رحمه الله - وهو في مكة بجوار الحرم، قال ابن المبارك:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يُكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في أنف امرئ وغبار نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما وصلت القصيدة إلى الفضيل ذرفت عيناه وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني [انظر سير أعلام النبلاء للذهبي 8/412].

وفي هذه الآيات قدّم الله عزوجل الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس - وفي أكثر من موضع في كتابه - ولم يقدم سبحانه الجهاد بالنفس على الجهاد بالمال إلا في موضع واحد وهو قوله عزوجل: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة..} الآية [التوبة:111]، فمالحكمة في ذلك؟

أولاً: هذا دليل على وجوب الجهاد بالمال، كما يجب بالنفس، فإذا دهم العدو وجب على القادر الخروج بنفسه، فإن كان عاجزاً وجب عليه أن يغزو بماله وفي هذا إنكار وهم من يتوهم أن العاجز بنفسه إذا كان قادراً على أن يغزو بماله لا يجب عليه شيء.

ولو قيل: إن وجوبه بالمال أعظم وأقوى من وجوبه بالنفس لكان هذا القول أصح من قول من قال لا يجب بالمال وهذا بيّن، وعلى هذا فتظهر فائدة تقديمه في أكثر الآيات.

ثانياً: على تقدير عدم الوجوب، فإن المال محبوب النفس ومعشوقها التي تبذل ذاتها في تحصيله وترتكب الأخطار وتتعرض للموت في طلبه، وهذا يدل على أنه هو محبوبها ومعشوقها، فندب الله تعالى محبيه المجاهدين في

سبيله إلى بـذل معشـوقهم ومحبـوبهم فـي مرضـاته، فـإن المقصود أن يكون الله هو أحب شيء إليهـم ولا يكـون فـي الوجود شيء أحب إليهم منه فإذا بذلوا محبـوبهم فـي حبـه نقلهم إلى مرتبة أخرى أكمل منهـا وهـي بـذل نفوسـهم لـه وهـذا غايـة الحـب! فـإن الإنسـان لا شـيء أحـب إليـه مـن نفسه، فإذا أحب شيئاً بذل له محبوبه من نفعه وماله، فـإذا آل الأمر إلى بذل نفسه ضـنّ بنفسـه وآثرهـا علـى محبـوبه هذا هو الغالب، وهو مقتضى الطبيعة الحيوانيـة والإنسـانية، ولهـذا يـدافع الرجـل عـن مـاله وأهلـه وولـده فـإذا أحـس بالمغلوبية والوصول إلى مهجته ونفسه فرّ وتركهم.

فلم يرض الله من محبيه بهذا بل أمرهم أن يبذلوا لـه نفوسهم بعد أن بذلوا له محبوباتها.

ثالثاً: فبذل النفس آخر المراتب فإن العبد يبذل ماله أولاً يقي به نفسه فإذا لم يبق لـه مـال بـذل نفسـه، فكـان تقديم المال على النفس في الجهاد مطابقاً للواقع.

وأما قوله: {إن الله اشـترى مـن المـؤمنين أنفسـهم وأموالهم} [سورة التوبة: الآية 111]، فكان تقديم الأنفس هو الأولـى لأنهـا هـي المشـتراة فـي الحقيقـة وهـي مـورد العقـد، وهـي السـلعة الـتي اسـتامها ربهـا وطلـب شـراءها لنفسه وجعـل ثمـن هـذا العقـد رضـاه وجنتـه، فكـانت هـي المقصود بعقد الشراء والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد ومايملكه لسيده ليس له فيـه شـيء. فالمالك الحـق إذا ملـك النفـس ملـك أموالهـا ومتعلقاتهـا، فحسن تقديم النفس علـى المـال فـي هـذه الآيـة حسـناً لا مزيد عليه [انظر بدائع الفوائد لابن القيم].

ويقول الله تعالى: {ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصـب ولا مخمصـة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمـل صـالح إن اللـه لا يضـيع أجـر المحسنين * ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسـن مـا كـانوا يعملـون} [التوبة: 120 - 121]، فحركات المجاهدين في سبيل الله وسكناتهم وجوعهم وظمأهم وتعبهـم ونفقـاتهم صـغرت أم كبرت وإغاظتهم الكفار بأي نوع من أنـواع الأذى المشـروع الذي يلحقونه بهم، كـل ذلـك يكتبـه اللـه لهـم عملاً صـالحاً ويجزيهم أحسن ما كانوا يعملون، لأن المجاهدين في سبيل

الله لا يرغبون بأنفسهم عن نفس نبيهم صلى الله عليه وسلم التي بذلها طيلة حياته في سبيل ربه، وكذلك لا يرغبون بأنفسهم عن أنفس قادتهم المجاهدين التي يبذلونها في سبيل ربهم مقتدين بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لذلك كان لهم هذا الفضل العظيم الذي فضّل الله كل دقيقة من عملهم وجليلة في سبيل الله ليغريهم بثوابه الشامل وفضله العميم [الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته للدكتور عبد الله القادري 1/119].

<u>ومما ورد في السنة من فضائل الجهاد:</u>

ماجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يارسول الله أي العمل أفضل؟ قال: ((الصلاة على ميقاتها)) قلت: ثم أي؟ قال: ((ثم بر الوالدين)) قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)) فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني [رواه البخاري].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يارسول الله؛ نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟! قال: ((لكنَّ أفضل الجهاد حج مبرور)) [رواه البخاري].

وعن ابن الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه على الإسلام فاشترط عليّ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله، قلت: يا رسول الله أما اثنتان فلا أطيقهما! أما الزكاة فما لي إلا عشر ذودٍ هُنَّ رِسل أهلي [الرسل: اللبن]، وحمولتهم. وأما الجهاد فيزعمون أن من ولّى فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرني قتال كرهت الموت وخشعت نفسي. قال: فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها ثم قال: ((لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة))؟ قال: ثم قلت يا رسول الله أبايعك، فبايعني عليهن كلهن [رواه البيهقي في السنن الكبرى، انظر مشارع الأشواق 1/83].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال ((لا أجده)) قال: ((هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر))؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟! قال أبو هريرة: إن

فرس المجاهد ليستن في طِوَله أي يمرح بنشاط فيكتب له حسنات [رواه البخاري وأخرجه الطبراني من حديث أنس بن معاذ عن أبيه وقال في آخره: لم يبلغ العشر من عمله].

ومعنى هذا الحديث أي إنك لو استطعت على هذا العمل وهو الصيام الدائم والقيام الدائم ما بلغت عشر عمل المجاهد.

قال ابن حجر رحمه الله: (وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي أن لا يعدل الجهاد شيء من الأعمال) [فتح الباري 6/7].

وقال ابن النحاس رحمه الله: (فإذا كان أولوا الهمم العلية والنفوس الأبية والشهامة الدينية المضاعفة أجورهم بالصحبة النبوية الفائزون بالسبق إلى كل كمال الحائزون من رتب الاجتهاد كل مقام عال لا يستطيعون عملاً يعدل الجهاد فكيف تقر أعين أمثالنا من غير اجتهاد وكيف تسكن إلى الأعمال اليسيرة بالهمم الدنية الحقيرة مع ما يشوبها من الرياء وعدم الإخلاص والدسائس التي لا يكاد يرجى معها خلاص! اللهم أيقظنا من هذه الغفلة ووفقنا للجهاد في سبيلك قبل حلول النقلة فأنت المرجو لكل خير ولا حول ولا قوة إلا بالله) [مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق 1/149].

وخرج ابن المبارك بإسناده عن صفوان بن سليم أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ويصوم فلا يفطر ما كان حياً؟ فقيل: يا أبا هريرة ومن يطيق هذا؟ قال: والذي نفسي بيده إن نوم المجاهد في سبيل الله أفضل منه.

قال ابن النحاس رحمه الله: (إذا كان - أكرمكم الله - هذه درجة نائمهم فكيف بقائمهم وإذا كانت هذه رتبة غافلهم فكيف بعاملهم.. إن هذا لهو الفضل المبين، لمثل هذا فليشمر المشمرون وعلى فواته فليبك العاجزون المقصرون وعلى ضياع العمر في غيره فليحزن المفرطون، اللهم بصرنا بأسباب النجاة ويسرها علينا وانظر بعين عنايتك ورحمتك إلينا فقد تصرم العمر في غير طائل وأنت على كل شيء قدير) [مشارع الأشواق 1/159].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)) قالوا: ثم من؟ قال: ((مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)) [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة)) [رواه البخاري].

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة. ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)) [رواه البخاري ومسلم بنحوه].

(ومعنى الحديث: أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيراً بكل حال، فإما أن يستشهد فيدخل الجنة وإما أن يرجع بأجر وإما أن يرجع بأجر وغنيمة) [شرح النووي على صحيح مسلم 13/26].

وعنه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانة..)) الحديث [رواه مسلم].

والهيعة هي الصوت عند حضور العدو. والفزعة النهوض إلى العدو. ومعنى (يبتغي القتل والموت مظانة) أي: يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (يا أيها الناس أظلتكم فتن كأنها قطع الليل المظلم أنجا الناس منها - أو قال فيها - صاحب شياه يأكل من غنمه أو رجل من وراء الدرب آخذ بعنان فرسه يأكل من سيفه) [الإبانة لابن بطة العكبري 2/595].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعثٍ رأسه مغبرةٍ قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفّع)) [رواه البخاري].

ففي الحديث: (أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المجاهد في سبيل الله الذي لزم سلاحه وأعد نفسه لذلك حتى اغبّر جسمه وانتفش شعره لبعده عن الترف والتنعم والراحة وملازمته لطاعة الله والجهاد في سبيله، إذا رآه الناس لم يهتموا به لتواضعه ومظهره الذي لا وجاهة فيه، أثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أينما كان عمله، ما دام في سبيل الله حارساً أم في مؤخرة الجيش، وطوبى اسم للجنة ونعيمها) [الجهاد في سبيل الله للقادري 1/141].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة)) فعجب لها أبو سعيد. فقال: أعدها عليّ يا رسول الله، ففعل. ثم قال: ((وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)) قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله. الجهاد في سبيل الله)) [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ((من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)) فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: ((إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال: وفوقه عرش الرحمن - ومنه تفجر أنهار الجنة)) [رواه البخاري].

قال الحافظ في الفتح (المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً} فعلى هذا، فعطف الأعلى عليه للتأكيد) [فتح الباري 6/16].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بشعب فيه عيينة ماء عذب وأعجبه طيبه فقال: لو أقمت في هذا الشعب واعتزلت الناس، ولا أفعل حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاة ستين عاماً خالياً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟! اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)) [رواه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (902)].

ومعنى فواق ناقة: أي ما بين الحلبتين. وقيل: ما بين الشخبتين، والشخب هو صوت خروج الحليب من الضرع.

قال الإمام ابن النحاس رحمه الله: (يا هذا ليت شعري من يقوم مقام هذا الصحابي في عزلته وعبادته وطيب مطعمه ومع هذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل وأرشده إلى الجهاد فكيف بواحد منا أن يتركه مع أعمال لا يوثق بها مع قلتها، وخطايا لا يُنجى منها لكثرتها، وجوارح لا تزال مطلقة فيما مُنعت منه، ونفوس جامحة إلا عما نُهيت عنه، ومآكل حكم حلها عند رازقها، وخواطر علم أصلها عند خالقها، ونيات لا يتحقق إخلاصها، وتبعات لا يرجى بغير العناية خلاصها، ثم النظر في خواتم الأعمال مجال الخطر وعظائم الأوجال، فالسعيد من وفقه الله للجهاد ويسّره عليه والشقي من جبن فغبن وظهر الخسران عليه، اللهم يسّر علينا الجهاد ويسّرنا له واجعلنا بفضلك ممن رام أمراً فناله وقرنت بالتوفيق أحواله وأفعاله إنك قريب مجيب) [مشارع الأشواق 1/153].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها. وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها. والروحة يروحها العبد في سبيل الله أوالغدوة خير من الدنيا وما عليها)) [رواه البخاري].

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ((رباط يوم في سبيل الله أفضل من قيام رجل وصيامه في أهله شهراً)) [رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1866)].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً ((لَقِيام رجل في سبيل الله ساعة أفضل من عبادة ستين سنة)) [السلسلة الصحيحة (1901)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان في الرباط ففزعوا فخرجوا إلى الساحل، ثم قيل: لا بأس، فانصرف الناس وأبو هريرة واقف فمر به إنسان فقال ما يوقفك يا أبا هريرة؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)) [رواه ابن حبان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1068)].

قف وتأمل في هذا الحديث ((خير من قيام ليلة القدر)) والتي هي في الأجر خير من ألف شهر وهي ليلة واحدة في السنة وفي العشر الأواخر من رمضان ووقتها غير محدد فقد يصيبه الإنسان وقد لا يصيبه إن لم يجتهد ويعينه الله عليه؛ ولكن موقف العبد ساعة في سبيل الله أي ساعة من ليل أو نهار في أي يوم في أي شهر فقط ساعة خير من قيام ليلة القدر وليس القيام في أي مكان وإنما في البيت الحرام بجوار الحجر الأسود والذي تعد الصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة فيما عداه من البقاع.

فما بالك بالذي يقف الساعات بل الشهور والسنوات في سبيل الله، كم سينال من الأجر؟! نسأل الله أن يجعلنا من المجاهدين إنه جواد كريم.

قال ابن النحاس رحمه الله: (وهذا من سعة فضل الله تعالى على هذه الأمة يضعف لها من الأجر في العمل اليسير ما لم تدركه الأمم السالفة في العمر الطويل والعمل الكثير، فإذا كانت ليلة القدر لهذه الأمة خيراً من ألف شهر... فكيف بما هو أفضل من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود وهو موقف ساعة في سبيل الله تعالى كما صح ذلك من حديث أبي هريرة)! [مشارع الأشواق 2/680].

فـ (لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون بالمدينة دون مكة لمعانٍ منها: أنهم كانوا مرابطين في المدينة؛ فإن الرباط هو المُقام بمكان يخيفه العدو ويخيف العدو، فمن أقام فيه بنية دفع العدو فهو مرابط؛ والأعمال بالنيات) [مجموعة الفتاوى 14/496].

و (لذلك كان صالحو المؤمنين يرابطون في الثغور، مثل ما كان الأوزاعي وأبو إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين وإبراهيم بن أدهم وعبد الله بن المبارك وحذيفة المرعشي ويوسف بن أسباط وغيرهم يرابطون بالثغور الشامية، ومنهم من كان يجيء من خراسان والعراق وغيرهما للرباط في الثغور الشامية لأن أهل الشام هم الذين كانوا يقاتلون النصارى أهل الكتاب... ولهذا كثر ذكر " طرسوس " في كتب العلم والفقه المصنفة في ذلك الوقت لأنها كانت ثغر المسلمين حتى كان يقصدها أحمد بن حنبل والسري السقطي وغيرهما من العلماء والمشائخ للرباط، وتوفي المأمون قريباً منها) [مجموعة الفتاوى 14/33 - 34].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكاً يوم القيامة)) [رواه ابن ماجة وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (2338)].

وعن أبي عبس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)) [رواه البخاري].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذا في الغبار الذي يصيب الوجه والرجل فكيف بما هو أشق منه كالثلج والبرد والوحل) [مجموعة الفتاوى 14/496].

وعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهمَّ والغمَّ)) [السلسلة الصحيحة (1941)].

فأين أصحاب الهموم والغموم من ساحات الجهاد ومواطن الكرامة والاستشهاد.

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما الجهاد وما فيه من الحركات الكلية التي هي من أعظم أسباب القوة وحفظ الصحة وصلابة القلب والبدن ودفع فضلاتها وزوال الهم والغم والحزن فأمر إنما يعرفه من له منه نصيب) [زاد المعاد].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ((ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟)) قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد)) [رواه الترمذي وصححه الأرناؤوط في جامع العلوم والحكم].

قال ابن النحاس رحمه الله: (وإنما شبه الجهاد بذروة سنام البعير لأن ذروة السنام وهي أعلاه لا يعادلها شيء من أجزاء البعير، كذلك الجهاد لا يعادله شيء من أعمال الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((لا أجده)) وفي رواية ((لا تستطيعونه)) هذا ما يظهر لي والله أعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وسلم.. ويحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما شبه الجهاد بذروة السنام لأن من تسور ذروة السنام فقد حكم على جميع أجزاء البعير كذلك من رزقه الله الجهاد فقد أناله جميع ما في الإسلام من أجزاء الفضل لأن نوم المجاهد أجر وسفره أجر ونفقته أجر ونصبه أجر وخوفه أجر وظمأه أجر وجوعه أجر وحركاته كلها أجر إلى غير ذلك والله سبحانه أعلم) [مشارع الأشواق 1/172].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عينان لا تصيبهما النار؛ عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)) [رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (4112)].

قال ابن الجوزي رحمه الله -: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد.

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: (العرف الأكثر استعماله في الجهاد فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين)، قال: (ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت والأول أقرب) [انظر فتح الباري 6/56].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والجهاد أحق الأعمال باسم سبيل الله) [مجموعة الفتاوى 14/508].

وعن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله - وكان كاتبه - قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله

عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)) [رواه البخاري].

قال ابن النحاس رحمه الله: (والذي يظهر لي في معناه والله أعلم أن من رفع يده بالسيف ضارباً في سبيل الله أو رُفع عليه سيف في سبيل الله على حال ظلل عليه السيف صار بذلك كأنه وصل إلى أبواب الجنة فيوشك أن يستشهد فيدخلها في الحال أو يؤخر فيموت على فراشه فيدخلها في المآل لأن من قاتل في سبيل الله وجبت له الجنة فكأن أبواب الجنة لذلك تحت ظلال السيوف حقيقة، وشبيه هذا قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض))) [مشارع الأشواق 1/191].

(وأي فضل أكبر من هذا الفضل؟ يصول المجاهد ويجول في حومة الوغى وهو يعلم أنه يتجول في عرصات الجنة تحت ظل سيفه وسيف عدوه، وما أن يسقط في هذه الأرض حتى يرى مقعده في الجنة وتظله الملائكة) [الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته 1/131 للقادري].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال: ((إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله)) [رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (2093)].

قال ابن النحاس رحمه الله: (لما كانت السياحة هي السير في الأرض على سبيل الفرار من الأغيار والنظر إلى الآثار بعين الاعتبار سمي الجهاد في سبيل الله تعالى سياحة، لأنه فرار من الوجود وسير إلى المعبود على قدم الإيمان والتصديق بالموعود، ونظر للنفس بعين الإنصاف في تسليمها للمشتري خروجاً من عالم الخلاف، وشتان بين من هو سائر بنفسه ينزهها وبين من هو مجتهد عليها ليتلفها، هذا هو السائح يقيناً والبائع نفسه بالربح الأعظم فوزاً مبيناً)! [مشارع الأشواق 1/168].

فصل
في فضل الجراحة في سبيل الله

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله)) [رواه الترمذي وحسنه الأرناؤوط في زاد المعاد].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمدٍ بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمدٍ بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل)) [رواه مسلم].

وعنه رضي الله عنه أن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمـن يكلـم فـي سـبيله - إلا جـاء يـوم القيامـة واللـون لـون الـدم والريـح ريـح المسـك)) [رواه البخـاري ومسلم].

(قال العلماء: الحكمة في بعثه كـذلك أن يكـون معـه شاهد بفضيلته ببـذله نفسـه فـي طاعـة اللـه تعـالى) [فتـح الباري 6/25].

فصل
في فضل الشهادة في سبيل الله

اعلم رحمني الله وإياك أن الشـهادة فـي سـبيل اللـه اصطفاء من الله عزوجل لمن يحب من عباده قـال تعـالى: {ويتخذ منكم شهداء} [آل عمران: 140]، وقـد أعـدَّ لهـم أعلى المنازل وأفضـلها، ومـن أراد الشـهادة فليبحـث عنهـا في مظانها فأنى لقاعد وفاتر أن ينالها!

يقول الله تعالى مبيناً فضل الشهادة فـي سـبيله {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتـاهم اللـه مـن فضـله ويستبشـرون بالذين لم يلحقوا بهم مـن خلفهـم ألا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنون * يستبشرون بنعمـة مـن اللـه وفضـل وأن اللـه لا يضيع أجر المؤمنين} [آل عمران: 169].

ويقول سبحانه: {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللـه أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون} [البقرة: 154].

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من اللـه تعالى وتمتعهم برزقه البدني من المـأكولات والمشـروبات اللذيذة، والرزق الروحي وهو الفرح والاستبشار وزوال كـل خوف وحزن! [تفسير السعدي].

والناس في الـدنيا لا يشـعرون بهـذه الحيـاة الغاليـة وذلك الرزق الدائم والاستبشار السار، ولكن عدم شعورهم لا يبيح لهم إنكار تلـك الحيـاة بـل لا يبيـح لهـم أن يقولـوا إن الذين قتلوا في سبيل الله أموات {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون}.

ويصبح الشهيد في موكب تتطلع نفوس المـؤمنين بالله إلى مرافقتـه مـوكب الأنبيـاء والصـديقين والصـالحين {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئـك رفيقاً} وكفى بذلك فضلاً! [الجهاد في سبيل اللـه للقـادري 1/123].

ويقول سبحانه: {والذين قتلـوا فـي سـبيل اللـه فلـن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصـلح بـالهم * ويـدخلهم الجنـة عرفها لهم} [محمد: 4 - 6].

وقال سبحانه: {ومن يقاتل في سبيل اللـه فيُقتـل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً} [النساء: 74].

وقال عزوجل: {ولئن قتلتـم فـي سـبيل اللـه أو متـم لمغفرة من الله ورحمة خيـر ممـا يجمعـون} [آل عمـران: 157].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((... والـذي نفسـي بيـده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتـل ثـم أحيـا، ثم أقتل)) [رواه البخاري].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنـه عـن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال: ((ما من عبد يموت له عند اللـه خيـر، يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيهـا إلا الشـهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الـدنيا فيقتل مرة أخرى)) [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس أيضاً ن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)) [رواه البخاري ومسلم].

(قال ابن بطال: هذا الحديث أجلّ ما جاء في فضل الشهادة. قال: وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب) [فتح الباري 6/40].

وعن مسروق رضي الله عنه قال: سألنا عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه - عن هذه الآية {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون} [آل عمران: 169]، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: ((أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطّلع إليهم ربهم اطّلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يُسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى! فلما رأى ان ليس لهم حاجة تُركوا)) [رواه مسلم].

(فإذا كان أهل الجنة يتمنون الشهادة ويسألونها وقد حصلوا على ما حصلوا عليه من الفوز العظيم ووصلوا إلى ما وصلوا إليه من النعيم المقيم، فكيف لا يتمناها ويسألها من هو الآن في دار المحن والغرور والأحزان والشرور؟ لا يدري إلى الجنة يصير أو إلى النار وبئس المصير)! [مشارع الأشواق 2/674].

وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته)) [رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (5182)].

إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليشمر المشمرون وعليه فليجتهد المجاهدون!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ((الشهداء على بارق نهر بباب الجنـة فـي قبـة خضـراء يخـرج عليهـم رزقهـم مـن الجنـة بكـرة وعشياً)) [رواه أحمد وحسنه الألباني فـي صـحيح الجـامع (3742)].

وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ((رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشـجرة وأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لـم أرَ قـط أحسـن منهـا، قال: أما هذه الدار فدار الشهداء)) [رواه البخاري وهو جزء من حديث طويل].

قال ابن حجر رحمه الله: (وفيه - أي الحديث - فضـل الشهداء وأن منازلهم في الجنة أرفع المنازل) [فتح البـاري 12/466].

والعجيب ما جاء عن أبي قتـادة رضـي اللـه عنـه عـن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مسَّ القرصة)) [رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (3745)].

فلو قام أحد المجاهدين بعملية استشهادية بطولية أو أصيب بقنابل عنقودية فتمزقت أشلاؤه كل ممـزق أو صـار أثراً بعد عين فإنه لن يجد من ألم القتل إلا كمـسِّ القرصـة وكم للموت على الفراش من سكرة وغصَّة!!.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فمـوت الشـهيد أيسـر من كل ميتة، وهي أفضل الميتـات) [السياسـة الشـرعية (84)].

قال ابن النحاس رحمه اللـه: (وإن للمـوت لسـكرات أيها المفتون وإن هول المطلع شديد ولكن لا تشعرون، وإن للقـبر عـذاباً لا ينجـو منـه إلا الصـالحون وإن فيـه لسـؤال الملكين الفاتنين {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فـي الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين} ثم بعد ذلك الخطر العظيم إما سعيداً فإلى النعيـم المقيـم وإمـا شـقياً فإلى عذاب الجحيم، والشهيد أمِن من جميع ذلك لا يخشـى شيئاً من هذه المهالك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يجد الشهيد من ألم القتل إلا كمـس القرصـة)) فما يقعدك أيها الأخ عن انتهاز هـذه الفرصـة ثـم تجـار فـي القبر من العذاب وتفوز عند الله بحسن المـآب وتـأمن مـن

فتنة السؤال وما بعد ذلك من الشدائد والأهوال، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين، أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في عليين، فكم بين هذا القتل الكريم وبين الموت الأليم) [مشارع الأشواق 1/114 - 115].

وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: ((كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)) [رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (4483)].

قال ابن النحاس رحمه الله: (الفتنة في القبر بسؤال الملكين إنما هي لاختبار ما عند المرء من حقيقة الإيمان والتصديق، ولا شك أن من وقف للقتال ورأى السيوف تلمع وتقطع، والأسنة تبرق وتخرق، والسهام ترشق وتمرق، والرؤوس تندر، والدماء تثعب، والأعضاء تتطاير، والناس بين قتيل وجريح وطريح؛ فثبت على ذلك ولم يول الدبر ولم ينهزم وجاد بنفسه لله تعالى إيماناً به وتصديقاً بوعده ووعيده كما وصف الله المؤمنين في قوله تعالى: {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً} [الأحزاب: 22]، فيكفيه هذا امتحاناً لإيمانه واختباراً له وفتنة، إذ لو كان عنده شك أو ارتياب لولى الدبر وذهل عما هو واجب عليه من الثبات وداخله الشك والارتياب كما قال تعالى: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً} [الأحزاب: 12]، فيكفي الشهيد هذا الامتحان من سؤال الفتان، والله أعلم) [مشارع الأشواق 2/735 - 736]، فاللهم لا تحرمنا الشهادة بسوء ما عندنا، وعاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد ولكن عدم العلم اليقيني التام هو الذي فتّر العزائم وزاد نوم النائم وأفات الأجور والغنائم، لم لا يكون كذلك والله قد {اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون} فوالله لو كان للإنسان ألف نفس تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم ولهذا لا يتمنى

الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يُردوا إلى الدنيا حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة) [تفسير السعدي].

فاللهم يا ذا الجود والكرم ارزقنا الجهاد والشهادة، والحسنى والزيادة فأنت المعوّل في كل خير وأنت على كل شيء قدير.

وحيّ على جنات خلد فإنها منازلك الأولى بها كنت نازلا
وحي على يوم المزيد بجنة الـ خلود فجد بالنفس إن كنت باذلا

(ومن يعرف المطلوب يحقر ما بذل) ف (أطلق نفسك من أسرها قبل أن يعسر الفكاك وانهض على قدم التوفيق والسعادة عسى الله أن يرزقك من فضله الشهادة، ولا يقعدك عن هذا الثواب سبب من الأسباب، فذو الحزم الشديد من جرّد العزم الشديد، وذو الرأي المصيب من كان له في الجهاد نصيب، ومن أخلد إلى الكسل وغرّه الأمل زلت منه القدم، وندم حيث لا ينفع الندم، وقرع السن على ما فرط وفات، إذا شاهد الشهداء في أعلى الغرفات {والله يقول الحق وهو يهدي السبيل} [الأحزاب: 4]، و {حسبنا الله ونعم الوكيل} [آل عمران: 173]،) [مشارع الأشواق 1/132].

وما دامت هي موتة واحدة فاجعلها يا أيها العبد في سبيل الله.

فصل
في الرد على شبهات المنهزمين

هذه بعض شبهات المنهزمين والتي يثيرونها حول الجهاد والمجاهدين وهي في الحقيقة أوهى من بيت العنكبوت يدرك بطلانها من عنده أدنى معرفة بالدليل، ومن عنده تجرد من الهوى والتقليد الأعمى الذي يُبنى على التقديس والثقة العمياء بالعلماء.

فإن قلت لهم قال الله أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا لك: قال الشيخ فلان أو الداعية فلان، وهم أفهم للدليل منك!

فإن قلت لهم: هذا ليس فهمي وإنما هو فهم السلف الصالح للنص ثم سردت لهم بعض أقوال أهل العلم السابقين، قالوا لك: الواقع تغير.

فإن قلت لهم: إن نصوص الشريع صالحة لكل زمان ومكان، قالوا لك: لكن هناك مفاسد ثم بعد ذلك يبدأون بالتشكيك في منهج المجاهدين ويسردون لأجل ذلك الشبهات.

فربما انطلت بعض هذه الشبهات أو شبهة واحدة على بعض الناس - لأن لكل ساقطة لاقطة ولكل ناعق أتباع - واستقرت في قلوبهم وضرَّت، وجرَّت لها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّت. لأجل ذلك جردت العزم مستعيناً بالله مساهماً في نصرة الدين ومفنداً لشبهات المنهزمين ومدافعاً عن المنهج الأصيل والله على ما أقول وكيل، سائلاً منه سبحانه الإعانة والتوفيق وإن كنت من صغار الطلبة لكن الحق أبلج وإن لُبِّس، والبطل لجلج وإن زُخرِف والحق أحق أن يُتَّبع.

قال الأوزاعي رحمه الله: (عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول) [ذم التأويل لابن قدامةالمقدسي (44)].

وكنت قـد كتبـت مقـالاً بعنـوان " يـا دعـاة الانبطـاح استحوا " وذكرت فيه بعض هذه الشبهات ثم إني نقلتها هنا من غير إحالة إليها.

وقبـل ذكـر الشـبهات أهـدي إلـى الأخ المجاهـد هـذه الأبيات:

يا من تريد العز لا تلفت إلى أوطانيا — من خذل الشبَّان في
فضل الجهاد يلوح في قرآننا بالغازيا — لا تقرننَّ مخذلاً
اخلع ثياب الذل لا تركن إلى الفانيا — متع الحياة من المتاع
حرّض وجاهد في الحياة فإنما صيفٍ جاريا — أعمارنا كسحاب
فضل الجهاد حداء كلِّ مجاهدٍ من حاديا — أنعمْ به أكرمْ به
يا من تريد العز لا تقعد وقل: الجهاد مناديا — ديني إلى ساح

* * *

<u>الشبهة الأولـى: يقولـون: إن الجهـاد فـرض كفاية!</u>

جوابها:

هذا من التلبيس على النـاس أو مـن الجهـل المركـب بحكم الجهاد.

أما حكم الجهاد فمن حيث الأصل هو فرض كفايــة إذا قام به الذين يكفون ارتفـع الحـرج عـن بـاقي أفـراد الأمـة، وهذا هو الذي يسميه العلماء جهاد الطلب - أي طلب العدو وقصدهم في ديارهم - وهـو واجـب علـى الإمـام مـرة كـل سنة، ولا يجوز للولد أن يخرج فيه إلا بـإذن والـديه والمـدين إلا بـإذن دائنـه، ويشـترط لهـذا الجهـاد وضـوح الرايـة، ولـه أحكام أخر يطول ذكرها وقد نص عليها الفقهاء في كتبهم.

ولكن هناك حالات معينــة ذكرهــا الفقهــاء إذا وقعت فإن الجهاد يتعين على الجميع وهي:

1) إذا استنفر الإمام المسلمين كلهم أو بعضهم فإن الجهاد يتعين في حقهم لقوله عليه الصلاة والسلام ((وإذا استنفرتم فانفروا)) [رواه البخاري ومسلم].

قال ابن حجر رحمه الله: (وفيه وجوب تعيين الخروج في الغزو على من عينه الإمام) [فتح الباري 6/47].

2) إذا داهم العدو أرضاً من أراضي المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعاً واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين لإعانتهم كما قال الله تعالى: {وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق} وكما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنصر المسلم...) الخ [مجموعة الفتاوى 14/464]، وهذه الحالة هي التي يسميها العلماء " جهاد الدفع "، وجهاد الدفع للعدو الصائل من أوجب الواجبات الشرعية وليس شيء بعد الإيمان بالله عزوجل أوجب من دفعه - كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - ولا يشترط له ما يشترط لجهاد الطلب.

3) إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان فإنه يحرم على من حضر الفرار وتولي الأدبار قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} [الأنفال 15 - 16].

4) إذا أسر العدو أسيراً من المسلمين فيجب على المسلمين فكاكه إما بالمال أو بالقتال أو بالمفاداة لقوله صلى الله عليه وسلم: ((فكوا العاني - يعني الأسير - وأطعموا الجائع وعودوا المريض)) [روا البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن حكم الجهاد من حيث الأصل فرض كفاية وأما من حيث الواقع - واقع زماننا - فهو فرض على الأعيان لتحقق الحالة الثانية والحالة الرابعة.

فالجهاد اليوم جهاد دفع وهو واجب على الأعيان القادرين لأنه (رفع عن الدين والحرمة والأنفس وهو قتال اضطرار) [مجموعةالفتاوى 14/464].

* * *

الشبهة الثانية: يقولون: إذا قلتم أن الجهاد فرض عين فهذا يعني أن جميع القاعدين آثمون!

جوابها:

الذي يأثم هو من لاعذر له وكانت عنده القدرة لأن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل إنسان بحسب قدرته، قال تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم} [التغابن: 16]، وقال تعالى: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} [البقرة: 286].

* * *

الشبهة الثالثة: يقولون: أكثر الشباب الذين يذهبون إلى الجهاد ما عندهم تربية ولا علم!

جوابها:

يقال لهم ماذا تقصدون بالتربية؟

أهي التربية على حب الدنيا وكراهية الموت والقتال؟

أم التربية التي تجعل الأنوف تحمر والأوداج تنتفخ والخدود تتورد والعيون تدور كالذي يُغشى عليه من الموت إذا ذكر القتال والجهاد في بعض المجالس؟

أم التربية التي تدعو إلى تهميش الجهاد أو تأخيره أو إلغائه في الوقت الذي تُداس في حرمات المسلمين وتنتهك فيه أعراضهم وتسيل فيه دماؤهم؛ فهذا جرح فلسطين وذاك جرح العراق وذيّاك جرح أفغانستان وهناك جرح الشيشان وكشمير وأندونيسيا والفلبين والسودان وارتريا...؟!

إن التربية الحقيقية - والتي نريد - هي التي تجعل الفرد تتساوى في نظره الحياة والموت وتجعله محباً للقاء ربه، ولا شك أن أعظم ميدان لهذه التربية هو ميدان الجهاد؛ ذلك أن الذي قدَّم نفسه للموت في سبيل الله

واستطاع أن يجاهد نفسه حتى وصل إلى هذه الغاية يهون عليه أي جهاد آخر، ففي هذه الميادين تخلص النفوس وتمحص النوايا وتصدق العزائم وتصفو القلوب لأن المجاهد يشعر أنه قريب من الموت وليس بينه وبين الجنة إلا أن يُقتل - إن صحت النية - فهو مستشعر لقوله عليه الصلاة والسلام ((واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)) [رواه البخاري].

ولندع شيخ الإسلام رحمه الله تعالى يحدثنا عن التربية التي تكون في ميدان الجهاد قال رحمه الله: (ولهذا كان الجهاد سنام العمل، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة:

ففيه: سنام المحبة كما في قوله: {وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} [المائدة: 45].

وفيه: سنام التوكل وسنام الصبر، فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى: {قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} [الأعراف: 128]، ولهذا كان الصبر واليقين - اللذين هما أصل التوكل - يوجبان الإمامة في الدين، كما دل عليه قوله تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} [السجدة: 24].

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى: {والذين جاهدو فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} [العنكبوت: 69]، فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى! ولهذا قال الإمام عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم، لأن الله يقول {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}.

وفي الجهاد أيضاً: حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا.

وفيه أيضاً: حقيقة الإخلاص. فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا.

وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} [التوبة: 111]. والجنة اسم للدار التي حوت كل نعيم، أعلاه النظر إلى الله، إلى ما دون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما قد نعرفه وقد لا نعرفه، كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) [مجموعة الفتاوى 14/509 - 510].

فالواجب علينا أن ندخل الميدان بأنفسنا حتى يتم إيماننا وتكتمل تربيتنا قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير} [التوبة: 38 - 39].

أما شبهة: أن المجاهدين ما عندهم علم.

فجوابها من وجوه:

الوجه الأول: إن المجاهد لم يخرج إلى أرض الجهاد إلا بعد أن عرف حكم الجهاد وفضله وما أعده الله للمجاهدين وللشهداء، فكيف بعد هذا يقال أنهم بلا علم.

الوجه الثاني: العلم ينقسم باعتبار حكم تعلمه إلى قسمين:

الأول: واجب عيني وهو ما لا يسع المرء جهله كالعلم بالله ولوازمه، وكتعلم أحكام العبادات التي يعبد بها الله عزوجل.

وهذا النوع بحمد الله لا يجهله أحد غالباً، إلا من نشأ في ديار لا تعرف من الإسلام شيئاً أو كان حديث عهد بكفر.

القسم الثاني: واجب كفائي وهو العلم الذي لا يؤاخذ المرء بجهله كتعلم علوم الآلة أو الفروع الفقهية.

وتعلم هذا النوع في وقت الجهاد الواجب يُعد تقصيراً من الإنسان في حق دينه وأمته.

الوجه الثالث: إن ثمرة العلم العمل به، ومن أعظم وأفضل أنواع العمل الجهاد في سبيل الله ولذلك جابت خيول المجاهدين الأرض شرقاً وغرباً ودكّت إيوان كسرى وقيصر، والله عزوجل يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن.

قال الإمام أبو زكريا ابن النحاس رحمه الله: (وناهيك أن الإسلام خرج من المدينة المشرفة ولم يزل يمتد بالسيف إلى أن طبق الآفاق)، ثم قال بعد أن ذكر مجموعة من غزوات المجاهدين وفتوحاتهم: (وفي ذكر هذه النبذ المذكورة في هذا الباب، ما يستشعر به الراقد في ظل سيوف من مضى من أبطال المسلمين وحماتهم وشجعانهم وكماتهم ما لاقوه في الذب عن دينهم وذاقوه من فتح مدنهم وحصونهم...) [مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق 2/949].

أما العلم المجرد عن العمل فهو ويال على صاحبه في الدنيا قبل الآخرة، أما في الدنيا فبتسلط الكافرين على المسلمين والأندلس خير شاهد على هذا، فلما تسلط النصارى على المسلمين هناك، كان بعض العلماء يتناقشون في قضايا فرعية ولم يخرجوا لمواجهة العدو الصائل، فكانت النتيجة سقوط الأندلس وقتل أهلها وكان من بينهم هؤلاء العلماء.

أما في الآخرة فمن الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة: عالم تعلم العلم ولم يعمل به كما جاء في الحديث الصحيح، قال الألبيري رحمه الله:

فلا تأمن سؤال الله عنه بتوبيخ علمت فهل عملت؟

وقال الحكمي رحمه الله :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عبّاد الوثن

* * *

الشبهة الرابعة: يقولون: إن الشباب هنا على خير وبرّ، وكلٌ على ثغر من ثغور الدين فلا يُثرِّب بعضنا على بعض!

جوابها:

هذه الشبهة يبرر بها القاعدون موقفهم المخزي تجاه قضايا الأمة وهي أشبه ما تكون بقول من قال {إن بيوتنا عورة} ثم فضحهم الله بقوله: {وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً} [الأحزاب: 13]، وفي تفسير قوله تعالى: {وما هي بعورة}.

يقول شيخ الإسلام قدس الله روحه: (لأن الله يحفظها) [مجموعة الفتاوى 14/514]، وهذه الثغور التي يتدرعون بها الله حافظها.

ودين الله لا يرتبط بالبشر بل الواجب على البشر أن يقوموا بالدين وأن يمتثلوا أوامر الله عزوجل، ففي وقت الجهاد الواجب نقوم بالجهاد كما أنه إذا دخل وقت الصلاة نقوم بالصلاة ولا نؤخرها بحجة أننا على ثغر.

ثم كم هي نسبة الشباب الذين نفروا للجهاد بين الشباب القاعدين؟ لا شيء يذكر.

وإن من تلبيس إبليس شغل العباد بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة وصرفهم عنها، فعلى العبد أن لا ينخدع بهذا وعليه أن يتطلع دائماً إلى المعالي وأن يرتقي بنفسه حتى ينال الأجر الكبير من الله عزوجل؛ فثغر الجهاد لا يعدله ثغر ولا يساويه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال ((لا أجده)) الحديث [رواه البخاري].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة

منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد) [السياسة الشرعية (84)].

وقال ابن القيم رحمه الله: (وكفى بالعبد عمىً وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لأمته وأعدوا له عدته وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم وحمي الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت الأقران النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات والمدَّخل مع الخوالف كمين.. فحقيقٌ بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله لمواقف الخزي والهوان) [من مقدمة قصيدته النونية المعروفة بالكافية الشافية].

وقال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: (يا دعاة الإسلام احرصوا على الموت توهب لكم الحياة وإياكم أن تخدعوا أنفسكم بكتب تقرؤونها وبنوافل تزاولونها ولايحملنكم الانشغال بالأمور المريحة عن الأمور العظيمة.. ولا تنكلوا وتركنوا إلى الدنيا وإياكم وموائد الطواغيت فإنها تظلم القلوب وتميت الأفئدة وتحجزكم عن الجيل وتحول بين قلوبهم وبينكم) [وصية الشهيد عبد الله عزام].

* * *

الشبهة الخامسة: يقولون: في هذه الفترة والمرحلة الأولى أن نكتفي بالدعوة والنصيحة والحسبة والتربية والسعي الحاد لإزالة شتى صور الانحراف والظلم والفساد بالحكمة والموعظة الحسنة على بصيرة من غير حرص على استعداء للسلطات واستفزاز للمدعوين ما أمكن.

وهذا هو المنهج الذي ثبت نجاحه وجدواه!

جوابها:

لو أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى على هذا الأسلوب لاكتفينا ولقلنا سمعنا وأطعنا، ولكن كلما قرأنا في سيرته عليه الصلاة والسلام وجدنا حياته كلها دعوة وجهاداً باللسان والسنان ووجدناه حريصاً على معاداة قريش واستفزازهم فقد كان يقول لهم في مكة في زمن الضعف أمام الملأ ((إنما جئتكم بالذبح))، وكان يدعوا على خيارهم عند الكعبة وهم يسمعون، وكان يسفه آلهتهم التي يعبدون، وعندما هاجر إلى المدينة كان يتعرض لقوافلهم التجارية إلى أن أمره الله عزوجل بقتالهم وهذا الأمر باق في الأمة إلى قيام الساعة.

أما قول: (وهذا هو المنهج الذي ثبت نجاحه وجدواه).

فجوابه:

نعم ثبت نجاحه وجدواه عند الطواغيت وأنصارهم الذين تقر أعينهم بأصحاب هذا المنهج الأنبطاحي، بل إن الطواغيت على أستعداد تام لدعم هذه المناهج والإحتفاء برؤسائها وإظهارهم على شاشات التلفزة حتى يكيلوا للمجاهدين السب والشتم بالمكاييل، وإدخالهم السجون حتى يحاوروا الشباب المجاهد ويقنعوهم بترك جهاد المرتدين والكافرين.

ويكفي في فساد هذا المنهج أن الطواغيت عنه راضون!!!

* * *

<u>الشبهة السادسة: يقولون: في مواجهة الكفار لابد أن نتكافأ القوى ونحن الآن لا توجد عندنا القوى الكافية لمواجهتهم.</u>

جوابها:

الله عزوجل أمر عباده أن يقدموا القوة التي يستطيعون عليها ولم يكلفهم فوق طاقتهم فقال {وأعدوا

لهم ما استطعتم من قوة} [الأنفال: 60]، وقال سبحانه: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} [البقرة: 286]، فإذا قدم العباد ما يقدرون عليه فإن الله عزوجل هو الذي سيتكفل بالنتائج.

ثم لو نظرنا في التاريخ الإسلامي فإنا سنجد أنه ما من معركة يخوضها المسلمون إلا وعدوهم أكثر منهم عدة وعتاداً كمعركة بدر ومؤتة والقادسية... الخ.

قال ابن القيم رحمه الله عن معركة بدر: (ولما رأى المنافقون ومن في قلبه مرض قلة حزب الله وكثرة أعدائه ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة وقالوا {غرَّ هؤلاء دينهم} [الأنفال: 49]،، فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة ولا بالعدد، والله عزيزٌ لا يُغالب، حكيم ينصر من يستحق النصر وإن كان ضعيفاً، فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه) [زاد العاد 3/162].

بل إنه في غزوة حنين لما فرح المؤمنون بقوتهم واغتروا بها وقالوا: لن نهزم اليوم من قلة! هُزموا في بداية المعركة، وقد حكى الله عزجل هذه القصة في كتابه لتكون لنا عبرة، قال تعالى: {لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين} [التوبة: 25 - 26].

* * *

<u>الشبهة السابعة: يقولون: إن الإسلام دين الرحمة والسماحة ولا يدعو إلى العنف... الخ.</u>

جوابها:

إن النصوص التي تأمر بالرفق عامة لكنها مخصوصة بأدلة الغلظة والشدة على الكافرين كقوله سبحانه واصفاً عباده المؤمنين {أعزة على الكافرين} [المائدة: 54]، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بقوله: {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} [الفتح: 29]، وهذه الآية واضحة الدلالة في أن الرحمة خاصة بالمؤمنين وليس للكافرين منها نصيب؛ إذ وصفت النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكافرين، ويقول سبحانه: {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم} [التحريم: 9]، والنبي صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نضطر المشركين إلى أضيق الطرقات ونهانا أن نبتدأهم بالسلام وغير ذلك من الأدلة الآمرة بالغلظة والشدة على الكافرين والتي تخصص عموم الأدلة الآمرة بالرفق.

هذا من حيث الأصل لكن أحياناً قد يتطلب الرفق فيمن يرجى إسلامه وهدايته.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: (وأما من يشير بكف المسلمين عنهم فإن كان مراده بذلك تاليفهم على الدخول في الإسلام أو دخلوا فيه أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب وكانت المصلحة في تركهم قليلة ونحوه فيجوز ذلك، وإن كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك فهو من أعظم أعوانهم وقد حصلت له موالاتهم مع بعد الديار وتباعد الأقطار) [الجامع الفريد (363)].

* * *

الشبهة الثامنة: يقولون: إن المجاهدين لا يرجعون إلى العلماء بل يتصرفون تصرفات هوجاء ليس لها مستند شرعي أو أنهم لا يفهمون النصوص فهما سليما.

جوابها:

يقال لهم: من العلماء الذين تريدون المجاهدين أن يرجعوا إليهم؟

أهـم الـذين ليـس لهـم خـبرة فـي الجهـاد ولـم تغـبر أقدامهم يوماً ما في سبيل الله؟

أم الـذين يخـذلون الشـباب عـن الـذهاب إلـى أرض الجهاد ويصفون المجاهدين بالأوصاف السيئة؟

أم هم مشايخ القنوات الفضائية؟ أم من ينتظـر الإذن الرسمي حتى يفتي؟ أم من يغلب مصلحة معينة في مكـان معين محدود على مصالح الأمة جمعاء؟

إن كنتـم تقصـدون هـؤلاء فـوالله إنـه لمـن السـذاجة والحماقة أن يُرجع إلى هؤلاء في مسائل الجهاد.

إن المجاهدين - كثرهم الله - لا يقومون بأي عمـل إلا بعد أن يُدرس دراسة شرعية من قبل علمـاء الجهـاد، ومـن أراد أن يعرف شيئاً من ذلك فليقرأ رسالة الشـيخ المجاهـد يوسف بن صالح العييري رحمـه اللـه تعـالى - الـتي سـاقها إلـى الشـيخ الـدكتور سـفر الحـوالي، أو ليطلـع علـى منـبر التوحيد والجهاد الموجود على شبكة الانترنت وسـيرى بـأمِّ عينيه الكتب المصنفة في ذلك.

* * *

<u>الشبهة التاسعة: يقولون: أكـثر العلمـاء الآن لا يؤيدون هذه الأعمـال الإرهابيـة والـتي يسـميها أصحابها أعمالاً جهادية.</u>

جوابها:

العبرة ليست بالغلبة والأكثرية فـي مسـائل الشـريعة وإنما تكون العبرة بالدليل والمستند الشرعي، لأن الحـق لا يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق، والجماعة هـي الحق ولو كنت وحدك كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

فالعالم قد يجبن ويخاف خصوصاً في هذا الزمن لأن من صدع بالحق فمصيره في الغالب غياهب السـجون، ثـم إن العالم قد يخفى عليه الدليل، وقـد يـداهن ويجامـل فـي بعض المسائل، بل قد ينسلخ من آيات الله، فالعلمـاء بشـر يعتريهم الذي يعتري غيرهم.

قال سعيد بن جبير رحمه اللـه: (قـال لـي راهـب: يـا سـعيد فـي الفتنـة يتـبين لـك مـن يعبـد اللـه ممـن يعبـد الطاغوت) [الإبانة لابن بطة 2/599].

ولن يخلو زمان من قائم بالحجة والدليل يقـول الحـق ولا يخشى فـي اللـه لومـة لائـم ولـو كـان واحـداً أو أفـراداً والغالبية على خلافهم، ففـي العهـد الـذي عـاش فيـه شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه اللـه - كـان أكـثر علمـاء زمـانه يخالفونه وكانوا هم الـذين يوشـون بـه إلـى السـلطان كـي يعتقله، بل كان بعضهم يفتي بقتله.

قال ابن كثير رحمه الله: (الرجل - يقصد ابن تيميـة - مات بالقلعة محبوساً من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء والقراء يذكرون عنه أشياء كثيرة مما ينفر منها طبـاع أهـل الأديان فضلاً عن أهل الإسلام) [البداية والنهاية 14/110].

والإمـام محمـد بـن عبـد الوهـاب رحمـه اللـه عـانى الشيء الكثير من علماء زمانه.

وقد عرفت الأمة في هذا الزمن الإمام حمود بن عقلا الشيعبي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه بنصرته للمجاهـدين بلسانه وقلمه وهناك غيره من أهل العلم الأحياء ولـو أردت أن أسميهم لسميتهم ولكن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

فالعبرة إذن بالدليل وليست بالكثرة. قال ابن سيرين رحمه الله: (الرجل ما كـان مـع الأثـر فهـو علـى الطريـق) [الإبانة لابن بطة 1/356].

لكن قد يقـول قائـل: إن العلمـاء المخـالفين للمجاهـدين يسـتدلون بأدلـة شـرعية، فمـن هـم أصحاب الحق إذن؟

الجواب:

الحق يكون مع من فهم الدليل علـى فهـم السـلف لا فهم الخلف، وأتى للمسـألة مـن أصـلها ونظـر فـي موضـع النزاع لا كمن يستدل بأدلة متفـق عليهـا ويضـعها فـي غيـر موضعها أو يتهرب عن أصل المسألة وموضع النـزاع، كمـن ينزِّل أحاديث السمع والطاعة في المنشط والمكـره لـولي الأمر المسلم على الحكام المرتدين، وستأتي أمثلـة أخـرى لهذه الصورة في الشبهة العاشرة والثالثة عشرة.

* * *

الشبهة العاشرة: يقولون: إن المجاهدين يقتلون المعاهدين والذميين والمستأمنين وهذا لا يجوز شرعاً فعن ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قتل معَاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)) [رواه البخاري].

جوابها:

لابد أن نعرف أولاً من هم المعاهدين؟ ومن هم الذميين؟ ومن هم المستأمنين؟ فبمعرفة ذلك تتضح الحقيقة إذ أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، لأجل ذلك يقال:

1) العهد:

هو عقد بين المسلمين وبين أهل الحرب على ترك القتال مدة معلومة.

والمعاهدون: هم أهل البلد المتعاقد معهم.

وإذا أُبرم العهد وجب على المسلمين الوفاء به إلى وقت المدة المتفق عليها لقوله تعالى: {فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم} [التوبة: 4]، لكن إن شعر المسلمون بخيانة وأحسوا بوقوعها فيجوز لهم أن ينبذوا إلى الكفار عهدهم لقوله تعالى: {وإما تخافنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين} [الأنفال: 58].

أما إذا نقض الكفار العهد فيجوز للمسلمين الإغارة عليهم ومباغتتهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة.

هذا من حيث الأصل وليس هذا محل نزاع بين المجاهدين ومخالفيهم وإنما الخلاف هو في صحة العقود اليوم مع الكفار؛ والصحيح أنها باطلة وليس بيننا وبينهم أي عهد للأسباب الآتية:

1) أن مـدة العهـود لابـد أن تكـون معلومـة، واختلـف العلماء في تحديدها فقال بعضهم لا تزيد المـدة عـن عشـر سنوات والصواب أنه تجوز الزيادة على العشـر سـنوات إذا كان في ذلك مصلحة راجحة للإسلام [انظر زاد المعاد لابـن القيم رحمه الله 3/371]، ومدة العهود اليوم غير معلومـة بل إن حكام المسلمين وقعوا على بنود هيئة الأمم الملحدة وأقروا بشرعيتها والتي من بنودهـا إلغـاء الجهـاد الإسـلامي فضلاً عن أن يوقتوه بمدة زمنية طويلة أو قصيرة!

2) أن هذه العهود تسـتمد شـرعيتها مـن هيئـة الأمـم الطاغوتية ويتحاكم إليهـا عنـد النـزاع واللـه عزوجـل يقـول {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بـالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم} [البقرة: 256].

3) أن من لوازم العهود اليوم السـماح والإذن للكفـار بإقامة الكنائس في ديار الإسـلام ومعلـوم بالإجمـاع تحريـم إحداثها في بلاد الإسلام.

أيضاً من لوازم هذه العهود إعطاء الكفـار أرضـاً مـن ديار المسـلمين تجـري عليهـا أحكـام الكفـر بعـد أن كـانت تحكم بالإسلام وهو ما يعرف اليوم بالمنـاطق الدبلوماسـية والمجمعات السكنية.

4) أن هــذه العهــود منتقضــة بنــواقض عــدة منهــا محاربتهم لنـا فـي أفغانسـتان والعـراق ودعمهـم المباشـر لإسرائيل فـي فلسـطين ودعمهـم لروسـيا فـي الشيشـان ودعمهم للهند في كشمير وهم الذين كان لهم الدور الكـبير في فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا، هذا غير محـاربتهم لنا عقدياً وثقافياً وفكرياً واقتصـادياً فـي كـل مكـان، وقـد أفـتى شـيخ الإسـلام بـن تيميـة رحمـه اللـه بغـزو نصـارى المشرق لمّا أعانوا عدو المسلمين علـى قتـالهم فامـدوهم بالمـال والسـلاح وإن كـانوا لـم يغـزوا ويحـاربوا بأنفسـهم، فرأهم رحمه الله - بذلك ناقضـين للعهـد [انظـر زاد المعـاد 3/125].

إذن: فالمحارب ليس لـه عهـد ولاذمـة ولا أمـان بـل يقاتَل حتى لو كان صبياً أو امرأة أو شيخاً فانياً.

ولذلك على الشباب المجاهد أن يستهدفوا هؤلاء فـي كل مكان وأن يضربوا مصـالحهم ويجعلوهـا أثـراً بعـد عيـن حـتى ينـالوا بـذلك رضـى اللـه عزوجـل أولاً ثـم إنهـم بهـذا

يوسعوا رقعة الحرب إذ أن المعركة واحدة ويجعلوا العدو خائف قلق في كل أرض، فالعدو واحد والمسلمون كالجسد الواحد وإن فرقت بينهم الديار وتناءت الأقطار؛ فضرب الأمريكان والأوروبيين في أفغانستان أو في العراق أو في بلاد الجزيرة أو في أي مكان يصب في مصب واحد وهو مصلحة الأمة وانهاك العدو قال تعالى: {فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً} [النساء: 91]، {حيث ثقفتموهم} أي في كل أرض وتحت كل سماء؛ في بلاد المسلمين أو في غيرها في أرض الجزيرة أو خارجها أينما وجدتموهم فخذوهم واقتلوهم.

ثم ماهو المانع الشرعي من قتالهم؟!

5) أنه لو قلنا تنزلاً بصحة هذه العهود فإنه يجوز للمجاهدين قتال الكافرين لأنه لا عهد بينهم وبين الكفار.

قال ابن القيم رحمه الله: (ومنها أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام فخرجت منهم طائفة فحاربتهم وغنمت أموالهم ولم يتحيزوا إلى الإمام لم يجب على الإمام دفعهم عنهم ومنعهم منهم وسواء دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه أو لم يدخلوا، والعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم...) الخ. ثم ذكر رحمه الله - أنه قد أفتى بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في نصارى ملطية وسبيهم مستدلاً بقصة أبي بصير مع المشركين [زاد المعاد 3/274].

2) الذمة:

هو عقد مع أهل الكتاب يهود ونصارى ويدخل في ذلك المجوس لأن معهم شبهة كتاب بحيث يعيشوا في بلاد الإسلام وتجري عليهم أحكام الإسلام مع دفعهم الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

ويشترط على أهل الذمة أن يكونوا خارج الجزيرة العربية لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين من جزيرة العرب وقال: ((لا يجتمع فيها دينان)).

قال الشيخ بكر أبو زيد عافاه الله ونفع بعلمه: (.. الأصل منع أي كافر مهما كان دينه أو صفته من الاستيطان والقرار في جزيرة العرب وأن هذا الحكم من آخر ما عهده النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمته، وبناءً على ذلك فليس لكافر دخول جزيرة العرب للاستيطان بها، وليس للإمام عقد الذمة لكافر بشرط الإقامة بها فإن عقده فهو باطل.. ولأنه لا يجوز إقرار ساكن وهو على الكفر فإن وُجِد بها كفار فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف) [خصائص جزيرة العرب:(36)].

ولا شك أن وجود الصليبيين اليوم وجود استيطان وإن لم يكن لأفرادهم فإن مجموعهم مقيمون والأفراد يتبدلون فهم كجيش مقيم لا تذهب سرية منه حتى تخلفها سرية.

ثم إنه في حالة غياب الإمام المسلم الذي يضرب عليهم الجزية لم يبق لهم خيار إلا الإسلام أو السيف.

وأما الاستدلال بحديث ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)) على تحريم قتل الكفار في جزيرة العرب فهو استدلال في غير محله؛ إذ لا يثبت لكافر عهد ولا ذمة إلا في وجود الحاكم المسلم والدولة المسلمة.

لكن قد يُقال: إن عدم إدراك الذمي أو المعاهد هذا الحكم وهو كفر الحاكم شبهة تدرأ عنه القتل.

فجوابها:

أن هؤلاء الكفار قد أُنذروا من قِبل المجاهدين عبر الشاشات وعبر الشبكة العنكبوتية وبالإنذار تزول شبهة العهد الذي عندهم، وقد بلغ الصليبيين إنذارهم يقيناً، والدليل على هذا اتخاذهم الأسوار الحصينة والترسانة العسكرية أمام أسوارهم والتي لا تجد لها نظيراً، بل إن كل عملية إنذار لما بعدها من عمليات.

ثم إن هؤلاء الكفار يدركون ويعرفون أن المجاهدين خرجوا عن طاعة حكام المنطقة وأنهم يتربصون بهم الدوائر، فهل بعد هذا تبقى لهم شبهة؟

3) الأمان له صورتان:

الصورة الأولى: أن يستجير المشرك حتى يسمع كلام الله فيجب أن يُجار ويعطى الأمان لقوله تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه} [التوبة: 6]، وهذه الصورة لاتكاد توجد في هذا الزمن لا سيما والمكاتب الإسلامية بحمد الله منتشرة حتى في بلاد الكفار.

الصورة الثانية: أن يطلب الكافر الأمان ليدخل بلاد المسلمين لمرور أوتجارة أو غرض يقضيه، فيدخل حتى تتم حاجته؛ وهذه الصورة يختار فيها ولي أمر المسلمين ما فيه المصلحة العامة.

ويصح الأمان من الرجل والمرأة المسلمَين سواء باللفظ الصريح أو بالكناية وحتى بالإشارة والأمر في ذلك واسع كما ذكر الفقهاء.

ولكن أمان آحاد المسلمين لابد له من موافقة ولي الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام في فتح مكة لأم هانئ ((قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)) [رواه البخاري]، فلو لم يوافق النبي صلى الله عليه وسلم على أمانها ويقره؛ لما اعتُبِر أمانها.

أما عند غياب الإمام المسلم أو في حال عدم علمه أو عدمه كحالنا اليوم فلا يصح عقد الأمان من آحاد المسلمين والدليل على ذلك ما فعله بلال بن رباح والأنصار رضي الله عنهم بأمية بن خلف في معركة بدر فقد كان أمية في أمان وجوار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقتلوه طعناً ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا لأنه لم يقر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على أمانه لأمية بن خلف - لعنه الله -

وبناءً على هذا فإنه لا يوجد اليوم أهل أمان، والله أعلم.

من خلال معرفة هذه الأحكام يتبين لنا أن الكافر إذا دخل ديار المسلمين بغير أمان أو عهد أو ذمة فدمه هدر ومن دخل بأحد هذه الأشياء الثلاثة فهو معصوم الدم.

هذا من حيث الأصل أما من حيث واقع زماننا فدماؤهم هدر لأنه لا يصح لهم أمان ولا عهد ولا ذمة كما تبيّن.

* * *

الشبهة الحادية عشرة: يقولون: تأملوا كيف يكون الحال لو استجيز قتل الهنود والكوريين والفلبينيين غير المسلمين في بلادهم أو في بلاد الخليج مثلاً بحجة أن حكوماتهم محاربة أو حجة ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)) و ((لا يجتمع فيها دينان))؟!

جوابها:

أولاً: قتلهم في بلادهم مشروع والقول بحرمة ذلك فيه تعطيل لجهاد الطلب ولم يقل بخلاف هذا إلا تلامذة المستشرقين!

ثانياً: أما قتلهم في بلاد المسلمين كالخليج مثلاً فهذا أيضاً مشروع ولا مانع له ولكن يُكف عن قتالهم الآن لسببين:

الأول: أنه لم يتقدم إليهم إنذار وبيان لبطلان عهدهم بخلاف الأمريكان والأوروبيين فتصريحات المجاهدين بحمد الله تصلهم أولاً بأول.

الثاني: أن في الجزيرة من هو أولى بالقتال، وقتاله أوجب لجمعه كل موجبات القتال - كالأمريكان والبريطان ومن سار في دربهم من الأوروبيين - فيؤخر هؤلاء للمصلحة لا للمنع والحظر إذ لا دليل يدل على المنع ما دامت كل العهود التي تبرم اليوم معهم لا تصح شرعاً، فيا لعزة الإسلام وتمييع المنهزمين.

* * *

الشبهة الثانية عشرة: يقولون: إنه يترتب على القتال في هذا الزمن مفاسد عظيمة على الإسلام والمسلمين.

جوابها:

1) أن المفسدة التي ثبت الحكم مع وجودها بدليل من نص أو تقرير أو إجماع أو قياس غير معتبرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أن ما يحصل به أذى للمسلمين إذا كان مما أمر الله به ورسوله كانوا مطيعين في ذلك لله ورسوله وأجرهم فيه على الله؛ كالجهاد...) [مجموعة الفتاوى 14/163].

وقال أيضاً رحمه الله: (فإن التهلكة والهلاك لا يكون إلا بترك ما أمر الله به أو فعل ما نهى الله عنه، فإذا ترك العباد الذي أمروا به واشتغلوا عنه بما يصدهم عنه من عمارة الدنيا هلكوا في دنياهم بالذل وقهر العدو لهم واستيلائه على نفوسهم وذراريهم وأموالهم ورده لهم عن دينهم وعجزهم حينئذ عن العمل بالدين بل وعن عمارة الدنيا وفتور هممهم عن الدين بل وفساد عقائدهم فيه قال تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} [البقرة: 217]، إلى غير ذلك من المفاسد الموجودة في كل أمة لا تقاتل عدوها سواء كانت مسلمة أو كافرة.

فإن كل أمة لا تقاتل فإنها تهلك هلاكاً عظيماً باستيلاء العدو عليها وتسلطه على النفوس والأموال. وترك الجهاد يوجب الهلاك في الدنيا كما يشاهده الناس وأما في الآخرة فلهم عذاب النار.

وأما المؤمن المجاهد فهو كما قال الله تعالى: {قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون} [التوبة: 52]، فأخبر أن المؤمن لا ينتظر إلا إحدى الحسنيين: إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة، فالمؤمن المجاهد إن حيا حيى حياة طيبة وإن قُتل فما عند الله خير للأبرار) [قاعدة في الانغماس في العدو وهل يباح؟ (63 - 65)].

وهذه القاعدة مهمة تُخرج إيراد من يورد وجود مفسدة في الجهاد، مع العلم بأن هذه المفسدة بعينها كانت موجودة زمن النبي صلى الله عليه وسلم؛ كإيراد من يورد ذهاب الطاقات الدعوية ونحوه ويقول: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم

يخرج في الجهاد كل واحد دون تفريق، وكذا الصحابة كـانوا حتى قُتل في حرب مسيلمة مئات من القراء.

كما تخرج إيراد من يورد جرَّ العدو إلى بلاد المسلمين لوجود ذلك زمـن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـن بـادأ قريشاً بالقتال وجاؤوا إلى المدينة في غزوة بدر وأحد.

وتخرج أيضاً من يورد ذهاب الأمن وزعزعة البلاد فإن أبا بكر الصديق أخرج الجيوش وقال: والله لو جرّت الكلاب أرجل أزواج النبي صلى الله عليه وسـلم مـا تركـت إخـراج الجيوش، أو كما قال رضي الله عنه مع أنـه إن كـان ملزمـاً بإخراج جيـش أسـامة بـالنص فـإن قتـال المرتـدين ليسـوا كذلك، مـع علمـه بـأن بعـض الأعـراب حـول المدينـة كـانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر.

2) أن هذا العدو يفسـد الـدين والـدنيا وحفـظ الـدين مقدم على كل شيء ولن يكون هذا إلا بصده ورده عـن بلاد المسلمين.

3) أن العمليات التي حدثت أثبتت مصالح كثيرة:

منها: خروج عدد كـبير مـن الصـليبيين مـن الجزيـرة العربية ولم يبق إلا من لابد له من البقاء.

ومنها: الرعب والإرهاب الذ وقع في قلـوب الكفـرة وهذا من مقاصد الجهاد المستقلة قال تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللـه وعـدوكم وآخريـن مـن دونهـم لا تعلمـونهم اللـه يعلمهـم} [الأنفـال: 60]، وقـال عليـه الصـلاة والسـلام ((نصـرت بالرعب مسيرة شهر)) [متفق عليه].

ومنها: توسيع دائرة الحرب.

ومنهـا: تمحيـص المـؤمنين واتخـاذ منهـم شـهداء وجريـان سـنة اللـه الكونيـة بتمييـز الخـبيث مـن الطيـب وإستبانة أن حرص كثير مـن المنتسـبين إلـى العلـم أعظـم وأكبر من حرصهم على دماء المسلمين وأعراضهم، بـل إن الله لما رغّم أنف أمريكا وأوليائها في التراب احمرّت منهم أنوف!! قال ابن القيم رحمـه اللـه: (وأيّ خيـر فيمـن يـرى محارم الله تنتهك وحدوده تُضَاع ودينه يُتْـرَك وسـنة رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم يُرْغَـبُ عنهـا وهـو بـارد القلـب

ساكت اللسان شيطان أخـرس! كمـا أن المتكلـم بالباطـل شيطان ناطق.

وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الـذين إذا سـلمت لهـم مآكلهم ورياساتهم فلا مُبَالاة بما جرى على الدين؟!

وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نُوزِعَ في بعـض مـا فيه غَضَاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبَذَّل وجَدَّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وُسْعِهِ.

وهؤلاء - مع سقوطهم من عينِ الله ومَقْتِ الله لهم - قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وَهم لا يشعرون) [إعْلام الموقعين].

ومنها: شـفاء صـدور قـوم مـؤمنين وإذهـاب لغيـظ قلوبهم.

ومنها: معرفة حقيقة الجيوش والغرض الذي أعدت من أجله فلم تتحرك قط لاستنقاذ بلد مسلم أو للدفاع عـن عرض وإنما تحركت في خدمة المصالح الأمريكية.

وهناك مصالح عظيمة غير هذه، وأكثر منها ما لا نعلمه والله يعلمه {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} [الإسراء: 85].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (بـل يكفـي المـؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصـلحة محضـة أو غالبـة، ومـا نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة، وأن الله لا يـأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ولا نهاهم عما نهـاهم بخلاً به عليهم، بـل أمرهـم بمـا فيـه صـلاحهم ونهـاهم عمـا فيـه فسادهم) [مجموعة الفتاوى 14/55].

* * *

<u>الشـبهة الثالثـة عشـرة: يقولـون: كـثير مـن العمليات التي يقوم بها المجاهدون يسـقط فيهـا كثير من المسـلمين الأبريـاء وكفـى بهـذا تحريمـا لها.</u>

جوابها:

يقال لهم: ما هو حكم قتل المسلم إذا تترس به الكفار؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين، وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا؛ فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم.

وإن لم يُخف على المسلمين ففي جواز القتال المفضي إلى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء، وهؤلاء المسلمون إذا قتلوا كانوا شهداء، ولا يترك الجهاد الواجب لأجل من يقتل شهيداً...) إلى آخر كلامه الممتع [مجموعة الفتاوى 14/564].

فاستدلال المجاهدين بمسألة التترس لا يخرج عن أن يكون محل إجماع أو أحد القولين المشهورين لأهل الإسلام.

أما شبهة التفريق بين المواجهة العامة وغيرها من المواجهات فلا وجه له ولا أصل، ثم إنه لا فرق بين من يُقتل مكرهاً في مواجهة ومصافة وبين من يُقتل مكرهاً في غير مواجهة ومصافة.

ثم إن الترس في المصافة يكون غالباً من المجاهدين المقاتلين لهذا العدو الكافر البريئين منه أعظم براءة ومع ذلك وقعوا في أسره فاستعملهم ترساً، وأما في غير المصافة فالأكثر أنه مخالط للمشركين ومساكن لهم وموالٍ لهم نوع موالاة!

كما أن الأول لم يكن ترساً إلا بإكراهه على ذلك، وأما الثاني فقد دخل منازل الصليبيين باختياره وقد برئ منه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو أولى بجواز قتله ترساً وإلحاقه بمن والاهم وخالطهم.

ثم إن العمليات في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان قلّ أن تكون دون أن يقع فيها قتلى من المسلمين ولا فرق بينها وبين العمليات التي تكون في الجزيرة العربية؛ ولو قلنا بمنعها لعطلنا جزءاً كبيراً من الجهاد.

أما الاستدلال بأدلة تحريم قتل المسلم لعظم ذلك فليس هذا محل خلاف؛ بل إن هذا خروج عن محل النزاع والخلاف.

* * *

الشبهة الرابعة عشرة: يقولون: إن الجهاد في هذه الأيام مليء بالفتن فقد يعرِّض المرء نفسه للأسر وقد يجرُّ نفسه وأهله إلى مشاكل هم في غنىً عنها وقد يقتل من لا يستحق القتل... الخ.

جوابها:

إن طبيعة طريق الجهاد هكذا، من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا، ومن ظن أن هذا الطريق مفروش بالورود ومحفوف بالرياحين فقد أخطأ بل لا بد أن يتعرض للفتن والسعيد السعيد من ثبت في الفتن على الحق والدليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة فهو في الفتنة ساقط؛ بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده وتركه ما أمر الله به من الجهاد) [مجموعة الفتاوى 14/361].

* * *

الشبهة الخامسة عشرة: يقولون: إن المجاهدين دائماً يستعجلون النتائج وقطف الثمار.

جوابها:

خير البر عاجله والله عزوجل يقول {سارعوا} {سابقوا} {قاتلوا} {فقاتل} فهذه كلها أوامر من الله عزوجل لعباده، والأمر على القول الراجح عند الأصوليين أنه يقتضي الفورية لأنه أبرأ للذمة.

ووجوب دفع الصائل على الفور، ولا شيء بعد الإيمان بالله أوجب من دفعه كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابـن تيميـة رحمه الله.

والعبد عليه أن يمتثل أمـر اللـه واللـه يتكفـل بالنتائـج والثمار {إن تنصروا الله ينصركم} [محمد: 7].

والأولى أن نحث المجاهدين على الصبر في جهادهم وألا يهنـوا فـي ابتغـاء القـوم وألا يصـغوا للنـداءات الـتي تدعوهم إلى الحوار على حساب ترك الجهاد.

* * *

الشبهة السادسة عشرة: يقولون: إن خير البر عاجله فيما توفرت شروطه وظروفه وانتفت موانعه ومفاسده، فانعدام القدرة وخوف المفسدة صرف الوجوب والفورية.

جوابها:

هذا كلام سديد وفي محلـه وهـذا الـذي نريـد ونـدعوا إليه، والحمد لله فقد رأى المجاهدون في أنفسـهم القـدرة والإمكان وكلٌ أدرى بنفسـه فـي أن يخوضـوا حرباً طويلـة المدى ونكايتها في العدو وإن قلنـا جـدلاً وتنـزلاً ضـعيفة إلا أنها تشفي صدور قوم مؤمنين وتذهب غيظ قلـوبهم، وهـي خير من تربية مدّعاة ليس لها زمام ولا خطـام تغـرس فـي نفوس الأتباع حب الدنيا وكارهية الموت.

وكل مفسدة مزعومة أو حقيقية تهون أمام مفسدة الشرك والكفـر، قـال تعـالى: {والفتنـة أشـد مـن القتـل} [الأنعـام: 82]، ذكـر أهـل العلـم أن الفتنـة فـي الآيـة هـي الشرك والكفر.

قال ابن سحمان رحمه اللـه معلقـاً علـى هـذه الآيـة: (الفتنة هي الكفر فلو اقتتلت الحاضرة والبادية حتى يـذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتـاً يحكـم بخلاف شريعة الله).

فكيـف والعـالم الإسـلامي لا يخلـو كلـه ليـس مـن طاغوت بل من طواغيت يحكمون بخلاف شريعة الله؟!

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فمن ترك القتال الـذي أمر الله به لئلا تكون فتنة فهو فـي الفتنـة سـاقط بمـا وقـع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده، وتركه ما أمر الله بـه مـن الجهاد) [مجموعة الفتاوى (14/361)].

فعلى هذا فإن الفورية باقية علـى الأصـل ولا صـارف لها.

* * *

الشبهة السابعة عشـرة: يقولـون: إن تراجـع بعـض الجماعـات الإسـلامية عـن طريـق الجهـاد وتراجع بعض أهل العلم عنه دليل على فسـاد هـذا المنهج في هذه المرحلة.

جوابها:

ليس كل من سلك منهجاً ثم تركه واستبدله يدل ذلك على فساد في المنهج الأول، فقد ارتدت قبائل مـن العـرب بعد وفاة النبي صلى اللـه عليـه وسـلم فهـل هـذا يعنـي أن التربية النبوية كانت خاطئة؟! معاذ الله.

ثم إن الله عزوجل حكى لنا في القرآن نبـأ بلعـام بـن باعوراء وقد كان على علم غزير لكنه انسلخ من آيات اللـه، وابـن مسـعود رضـي اللـه عنـه يقـول: (مـن كـان مسـتناً فليسـتن بمـن قـد مـات فـإن الحـي لا تـؤمن عليـه الفتنـة) وصدق فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، فالشـجاع قـد يجبـن والقـوي قـد يضـعف والمجـرب يحتـاج إلـى الصـبر وطـول النفس وإن كان من كان نسأل الله السلامة والثبات ونعـوذ بالله من الحور بعد الكور.

فدين الله لا يرتبط بأشخاص ولا بجماعات بل بـالحق، وطبيعة طريق الجهاد تقتضي الصبر والمصـابرة حـتى يُعبـد الله وحده، فمن نفد صـبره فـي أول الطريـق أو وسـطه أو آخره وتخلى عنـه فـإن القافلـة ستسـير ولا يضـرها خـذلان مسلم وليّ ولا معاداة كافر شقيّ.

وأما تراجع العلماء وهم في السجن عـن هـذا المنهـج فقد يُلتمس لهم العذر فـي ذلـك، لأن السـجين لـه ظروفـه فقد تكون تلك التراجعات تحت الضغوط ومما يؤكد هذا أنه لم يفرج عن هؤلاء المشايخ.

والخلاصة: أنه لو ثبتت هذه التراجعات فإنا سنزداد يقيناً بأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

الشبهة الثامنة عشرة: يقولون: إن المجاهدين تكفيريون!

جوابها:

أهل السنة والجماعة لا يكفرون بالذنوب الصغيرة أو الكبيرة التي هي دون الكفر أحداً إلا إذا استحلها، أما من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام وانتفت عنه موانع التكفير فإنهم يكفرونه ولو لم يستحل.

فالمجاهدون منهجهم في هذا الباب المنهج الوسط وهو منهج أهل السنة والجماعة هذا من حيث الجملة لكن قد يكون فيهم وفي صفوفهم من يتعدى في هذا الباب ويكفِّر من لا يستحق التكفير وهو لا شك ولا ريب أنه مخطئ فالعيب هذا فيه وليس في إخوانه ومن حوله، بل إن الذي له خبرة ودراية بأحوال المجاهدين يرى أنهم ينكرون على هؤلاء، واقرأ إن شئت رسالة الشيخ يوسف العييري رحمه الله للشيخ سفر الحوالي فقد ضمنها بيان منهج الجهاد والمجاهدين في هذه المسألة.

وقد صنف علماء الجهاد مصنفات في هذا الباب وضبطوا المسألة بضوابط أهل السنة والجماعة.

فلا يجوز أن نقول بعد هذا أنهم تكفيريون؛ نعم هم يكفرون من كفره الله ورسوله وبصنيعهم هذا يفرون من منهج أهل الإرجاء وفي الوقت ذاته يتبرؤون من منهج الخوارج الذين يكفرون بغير ضوابط أهل السنة والجماعة.

* * *

الشبهة التاسعة عشرة: يقولون: ليس في التكفير والتربية عليه مصلحة عملية.

جوابها:

لا بل فيه مصالح عملية كثيرة لمن تأملها وتدبرها؛ فمن عرف كفر هذه الأنظمة مثلاً فلا يجوز له أن يكون

جندياً ولا شرطياً فيها ولا مجادلاً عنها وعليه أن يعرض عن الطواغيت وألا يجالسهم ولا يقوم لهم ولا يقبل أيديهم ولا يخاطبهم بياسيدي ووليي ونحو ذلك ولا يدعو لهم بما يُدعى به للمسلم من النصر والعز والحفظ وعليه أن يعد العدة لمواجهتهم ومجابهتهم وعليه أن يربي الناس خصوصاً الشباب منهم على هذا متوخياً الحذر في هذا ولا يصلي عليهم إذا ماتوا هذا بالإضافة إلى بغضهم وكراهيتهم والتبرؤ منهم، فهذه كلها مصالح عملية وعلمية وهي على سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ أفلا تعقلون؟!!

* * *

الشبهة العشرون: يقولون: المرحلة التي نعيش فيها أشبه ما تكون بالمرحلة المكية، والحل الصحيح هو أن نفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المرحلة.

جوابها:

الجهاد في سبيل الله مرّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة تدرج التشريع.

المرحلة الثانية: مرحلة استقرار التشريع.

ونحن في هذا الزمن نعيش في المرحلة الثانية ولا نعيش في المرحلة الأولى، وهناك وجه شبه بين المرحلة الأولى وبين المرحلة التي نعيش فيها من حيث الواقع لا من حيث الأحكام لأن التشريع قد استقر؛ فالجهاد آنذاك ممنوع ومعرض فاعله للعقاب واليوم مشروع بل واجب ومعرض تاركه للوعيد ومثاب فاعله.

ثم هل يصح أن نفتي مدمن الخمر بجواز شربه لأن شربه في المرحلة المكية كان جائزاً ثم نتدرج معه إلى أن نصل معه إلى التحريم؛ هذا لا يعقل فضلاً عن أن يقبله الشرع.

* * *

وأخيراً

هـذا مـا تيسـر جمعـه وإعـداده بحـول اللـه وقـوته، سـبحانك اللهـم وبحمـدك أشـهد ألا إلـه إلا أنـت أسـتغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أعده
عبد الرحمن أبو ناصر
يوم الخميس 12/10/1425 هـ

تم تنـزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth